

محتويات الفصل

تمهيد:

I - الوظائف التي توفرها الساحة

I-1 الطموحات الحسية والنفسية

I-1-1 البهجة، السرور والنزهة الحضرية

I-1-2 الرغبة الحضرية

I-1-3 الإحساس بالمفاجأة

I-1-4 سحر الإنسان

I-2 طموحات في العلاقات الاجتماعية

I-2-1 الالتقاء والاتصال بين الأفراد

I-2-2 التعليم والتربية

I-2-3 الثقافة والتظاهر

I-2-4 التعبير والمطالبة بالحقوق

I-3 الأنشطة والمبادلات التجارية الاقتصادية

I-4 طموحات في التنقل والنقل

II - المتدخلين في إعداد الساحات

II-1 العمرانيون

II-2 المعماريون

II-3 علماء الطبيعة (المنظريون)

II-4 الجغرافيون وعلماء الاجتماع

II-5 الفنانون و الحرفيون

II-6 المسير والسياسي

III - استخدامات الساحة في المدينة

III-1 الاستعمال المباشر

- III - 2 الاستعمال غير المباشر
- III - 3 الاستعمالات الجماعية للساحات
- III - 4 الاستعمال الفردية
- IV - الاحتياجات في الساحة حسب الشرائح الاجتماعية
 - IV - 1 فئة الأطفال الصغار
 - IV - 2 المراهقون
 - IV - 3 الرجال والشباب
 - IV - 4 النساء
 - IV - 5 كبار السن والشيوخ
 - IV - 6 العجزة والمعوقون
 - IV - 7 الأجانب
- الخلاصة

تمهيد:

تتوفر الساحات على طاقات تسمح لها بأداء وظائف مختلفة تسعى من خلالها بتلبية مجموعة من الرغبات المتنوعة لمستعمليها، سنعرض خلال هذا الفصل مختلف أدوار للساحات حسب احتياجات الجماعات والأفراد، بالإضافة إلى ذلك سنتطرق لمختلف المتدخلين في إعداد هذه الأماكن لما لهم من أهمية وأثر في تقديمها بما يتماشى مع طموحات المستعمل.

I - وظائف الساحة :

الساحة عنصر فضائي يؤدي مجموعة من الوظائف المختلفة، تعمل على إبراز أهميتها الاجتماعية والمجالية، نوجزها وكما أشار إليها سابلي (Sablet,1988,p76) فيما يلي:

I - 1 الطموحات الحسية والنفسية:

من بين وظائف الساحات إشباع الاحتياجات الحسية والنفسية لمستعمليها، في هذا الصدد أشار سابلي إلى أن السبب الذي يدفع الفرد بالاتجاه أو التواجد في فضاء معين يعود إلى الأحاسيس والانفعالات التي يشعر بها اتجاهه، فالمستعمل يفضل أماكن عن أخرى، ولقد صرح سابلي أن أحاسيس وانفعالات المستعمل تتأثر بالفضاء المتواجد فيه، وأطلق على هذا السلوك الإنساني اسم الحساسية الديناميكية (dynamique-Sensibilité)، بينما أشار لاختلاف الأحاسيس من شخص إلى آخر نتيجة الضغط الذي يبديه الفضاء على الشخص المتزن > التنزه المتزن للأحاسيس < (déambulation statique des sensations). (Sablet,1988,p76)

والساحة فضاء قدر له أن يعرض قيم جمالية مقبولة للمستعمل، فتعمل بذلك على استقطابه، كما يمكن لها أن تكون مقززة ومبعدة له وهذا لعدة أسباب منها: ضعف القيمة الجمالية أو التهيئة أو إشكالية التوقف بها أو لتكلفة الخدمات عليها وغلاء المبيعات...

إن إشباع الاحتياجات النفسية والحسية للأفراد لحظة تواجدهم بالساحة يعبر عن العلاقة بين الجوانب الفيزيائية للفضاء من جهة، وبين سلوكيات الفرد من جهة ثانية، كما أن هذه الاحتياجات تظهر في مجموعة من الجوانب أشار إليها سابلي (Sablet) فيما يلي:

I-1-1 البهجة، السرور والنزهة الحضرية:

يبحث الإنسان دائما عن السعادة والسرور، لمحو تلك الأحاسيس السيئة عنده من الإحباط والملل واليأس والتكرار (الروتين) وخاصة بتواجده ضمن ثنائية (العمل، المنزل) وكذلك لملاحظته نفس المشاهد، وهذا ما يخلق الأمراض النفسية عنده.

يمكن للأفراد الشعور بالراحة انطلاقا من توفر عدة جوانب، من ذلك عدم تعرضه للإزعاج من طرف السيارات، وأيضا سهولة حركتهم في ظل غياب العوائق الفيزيائية كعدم استواء الأرضية، كما يمكنهم الشعور بالراحة نتيجة توفر الأمن، وكذا وجود الأشياء التي يحبونها كوجود الأفراد الذين يحبونهم وغياب الذين يكرهونهم كاللصوص، المتشردين والمجانين...، لقد صرح سابلي بأن الراحة تعبر عن التآلف الثقافي بين الأفراد، كما أن رغبتهم في الساحات هي من رضائهم بالأحداث المقبولة فيها من توفر الهدوء والموسيقى وأيضا من تحسسهم الأشياء كالبرد والحرارة والريح...

I-1-2 الرغبة الحضرية :

وتعبر عن الرضى بما يبصره الإنسان أو قد يحسه ضمن المجال المتواجد فيه، ويمكن الوصول إلى ذلك من خلال الرغبة الجمالية والرغبة الطبيعية.

الرغبة الجمالية :

تعبر عن سلوكيات الأفراد وأحاسيسهم نحو الفضاء، إذ يظهر ذلك من خلال العلاقة بينهم وحجم الفضاء، فأبعاد الساحة مثلا يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الرؤية والإبصار الشامل للصورة التي يحملها المستعمل من خلالها والتي تمكنه من التمتع بجمالها، إلا أن الإفراط في أبعادها يخلق الملل في الحركة، في هذا المنظور أشار سابلي عن بوفيل (Bofill) إلى أن :
 "...كبر الساحة يشعر المستعمل بأنه ضائع وسطها، وبأنه معزول عن المباني بواسطة السيارات والطرق، فيجد الشخص صعوبة في اختيار مكان جلوسه، ويصبح لا يحمل أي منظور للحرية... لذلك الرغبة في الفضاء لا تحمل الرغبة في الفراغ... (Sablet, 1988, p49).

أما الساحة الصغيرة فهي المفضلة عند الكثيرين وهذا لأنها تشعر الفرد بخصوصية المكان وكأنه ملك خاص إذ أن "مفهوم الفضاء يعرف بالعلاقة مع القدرة على الحراك الشخصي، وهو

بالمساواة يرتبط عند الكثير من الأفراد بالتنافس والاستخدامات الفيزيائية...".
(Galibourg et autres,2001,p66)

* الرغبة الطبيعية :

يبحث الإنسان عن إشباع احتياجاته النفسية انطلاقاً من وجود عناصر طبيعية كالمياه والنباتات وما توفره من الظل والهواء المنعش، وهو الأمر الذي يمكن من التمتع بالأذواق المختلفة، لذلك فإن الرغبة في الطبيعة هي تلبية لاحتياجات ثابتة وربما قد تكون متغيرة مع الزمن كأن تكون حسب الفصول وما يترتب عنه من تغير في المظهر الطبيعي.

I-1-3 الإحساس بالمفاجأة :

تظهر المخططات العمرانية الحالية غالباً منتظمة وبأبعاد وقياسات ثابتة، حيث نجد الواجهات المتشابهة والشوارع المخططة...وهو ما يجعل الحي المعاصر جاف بالنظر للمجموعات الحضرية القديمة، والتي تخلق نوعاً من المفاجأة خلال التوغل بها، ويأتي ذلك من الأشكال والألوان والأبعاد وغيرها من المكونات الفيزيائية غير المتوقعة، لذلك يعد غياب التخطيط والتنظيم سبباً في عدم توقع الإنسان بما يمكن أن يراه فيما بعد، وهو ما يشكل الإحساس بالمفاجأة عنده.

يشعر الإنسان بالملل نتيجة تكرار رؤيته لنفس الصور والمظاهر، لذا فتفاجئه بمظاهر وصور جديدة من المدينة قد يزيد من سعادته وسروره، من ذلك فالإنسان يحس بشعور غريب عند بداية اكتشافه للساحة، وهذا لما تعرضه من تصميم وألوان وأشكال ومكونات غير مألوفة في تركيبات معمارية وعمرانية أخرى، وكذلك من خلال التظاهرات والمناسبات والأحداث غير المتوقعة، في هذا الصدد صرح سابلي أن الإحساس بالمفاجأة يغري الإنسان ويخلق الحيوية والنشاط عنده، كما يكسبه نظرة شاملة وجميلة عن المكان.

I-1-4 سحر الإنسان :

يكتسح زائر الساحة شعوراً بالاهتزاز والسعادة العميقة نتيجة لذلك المظهر الفني الرائع والجميل، والذي تعكسه الأعمال المعمارية والعمرانية والفنية ذات الأشكال المتناغمة والألوان الرائعة والمواد المستعملة البراقة وكذا لوجود العناصر الطبيعية.

في الواقع الجمال هو شيء يمكن إدراكه لكن يصعب صياغته في قوانين واضحة، وهو يعبر عن العلاقة بين المستعمل وثقافته وماضيه الشخصي وتاريخه، بالرغم من ذلك يبقى الجمال أمرا ضروريا في حياة الإنسان وكذا في تقييم نجاح بعض أعماله.

I-2- طموحات في العلاقات الاجتماعية :

إن العلاقات الاجتماعية التي تحدث في الأماكن المبنية (أماكن العمل، المنازل، قاعات الرياضة، الورشات، قاعات الاجتماعات والمحاضرات، المقاهي ...) تتسم بأنها أقل تحررا وعادة تخضع لقوانين وضوابط تفرضها هذه الأماكن، في حين العلاقات التي تجري في الساحات تكون بشكل أكثر تحررا من القرابة المكانية، فالإنسان يستعملها بكل حرية وفي أي وقت، ويدعم ذلك قوة المكان وبساطة قراءته، وهو ما يشكل القانون العام لاستعمال هذه الفضاءات، كما يسمح بتكوين العلاقات الاجتماعية الحقيقية والمرنة التي تقوم على الجوانب التالية:

I-2-1- الالتقاء والاتصال بين الأفراد :

إن السير والتفسيح والملاحظة والتنقل حركات يمارسها الأفراد بكل حرية ضمن مجال الساحة، فيمكن ذلك من الاتصال والالتقاء غير المتوقع بينهم، وهذا ما يجعل الساحات فضاء اجتماعيا.

I-2-2- التعليم والتربية:

تعد الساحة فضاء لاكتساب المعارف والتعليم وتوجيه السلوك وتهذيب الطباع، ويأتي ذلك من خلال اللوحات الاشهارية والمحلات التجارية والإعلانات والنصب التذكارية التي تحمل دلالات تعبر عن تاريخ المدينة أو شخصيات تاريخية أو تظاهرة عاشتها المدينة، وكذلك من خلال الاحتكاك بين الأفراد والجماعات، كل تلك الجوانب تساهم في اكتساب الأفراد معارفا عن الساحة والمدينة بشكل أعم.

I-2-3- الثقافة والتظاهر:

إن الميدان الواسع والمركز الإستراتيجي في المدينة ونتيجة لاحتلال المركز والقلب النابض جعل من الساحات مكانا للاستعراضات والتظاهرات المنظمة أو غير المنظمة والأعياد والمناسبات ومختلف الحركات التي تستدعي وجود أماكن مفتوحة للجميع وبشكل مجاني.

I - 2-4 التعبير والمطالبة بالحقوق:

الساحة أيضا هي مكان للتظاهرات الاجتماعية كالإضرابات المطالبة بالحقوق، التجمعات المساندة أو التي تدعم قضايا اجتماعية أو شخصيات بارزة، كما يمكن التعبير فيها عن الأفكار الشخصية بالفن والحركة والكلام والرقص...، لذلك فمن خلال هذه الطموحات يمكن وضع معارف وبعض الآليات الوظيفية للحياة على الساحة.

I - 3 الأنشطة والمبادلات التجارية الاقتصادية:

إن تواجد بعض الحرف والمهن مازال يخلق حيوية في الساحات، كما كان سببا لوجود بعضها الآخر، وهذا ما ساهم في استعمالها لمدة طويلة من اليوم ولسنوات عديدة من التاريخ، كما عبرت أيضا هذه المهن والحرف عن المعاملات البسيطة المباشرة والمحافظة على تقاليد وعادات المجتمعات، فساهمت في جذب السكان بشكل كبير إليها وكونت لديه ثقافة عن عاداته وتقاليد، وكذا مهن وحرف مجتمعه أو مجتمعات سابقة، لكن اليوم تعرف هذه المهن والحرف التقليدية تقهقرا وتراجعا من الساحة، وهو ما أدى إلى انخفاض في العلاقات المباشرة بين الأنشطة الداخلية والحياة الحضرية عليها، وهو ما انعكس سلبا على حيوية هذه الأماكن واستعمالاتها، رغم هذا لا تزال بعض الساحات القليلة تحافظ على ذلك النشاط وهذا من خلال المحلات التجارية الموجودة بالقرب منها والموجهة لأداء خدمات متنوعة.

I - 4 طموحات في التنقل والنقل :

يعد التنقل الاحتياج الأول الذي تسعى لتحقيقه الفضاءات العامة، فنجد أن الشارع هو الوسيلة الأولى التي تسعى وراء هذه الغاية، أما الساحة فتساهم في هذا كونها العنصر الذي يمكنه التواجد في وضعيات تمكن من الربط بين المباني المحيطة بها، وعلى نطاق آخر تشكل الساحة عنصرا أساسيا ضمن مخطط النقل والحركة في المدينة، إضافة إلى ذلك استخدمت كمحطة للنقل الجماعي أو ضمت محطة للقطار أو المترو في الجزء السفلي منها.

لقد أصبحت الساحات في التهيئات الحديثة تستجيب لرغبات وطموحات مختلف المستعملين، يظهر ذلك على تهيئتها التي تبدي استمرارية في الممرات وتنوعها وهذا بوجود ممرات للراجلين والمعوقين وراكبي الدراجات الخفيفة وكبار السن والأطفال، كما أنها تسمح باستعمال السيارات في أجزاء أخرى منها، كل ذلك لإرضاء رغبات المستعمل، مما يقضي

لضرورة وجود الساحات بالقرب من السكنات وذلك لتمكين مراقبة الأطفال من جهة، ومن جهة ثانية مرغوب في إبعادها عن السكنات حتى تتمكن من توفير الهدوء.

نتيجة:

لعل تحقيق تلك الوظائف والقدرات التي تتوفر عليها الساحة كفضاء عام يحيي المدينة ويحركها، كما يتطلب تدخل المختصين.

II - المتدخلين في إعداد الساحات:

تبدي الساحة تعقيدا في العلاقة الكائنة بين التصميم ودلالاته من جهة، وبين عملها وتطبيقاتها من جهة ثانية، وهو ما خلق صعوبات في إعدادها وتهيئتها وكذا الوصول إلى نماذج مقبولة وفعالة تعكس توافقا بين التصميم وطموحات المستعمل، لذلك تطلب الأمر تظافر جهود فريق من المختصين يساهم فيه كل واحد في ميدانه وحسب مجال معرفته وتجاربه، لذلك فالإشارة إلى أهم المتدخلين في إعداد الساحات أمر أساسي لكشف مدى عملهم في الوصول إلى ساحات أكثر وظيفية، ولقد ذكرهم سابلي (Sablet,1988) في التخصصات التالية :

II-1 العمرانيون:

العمراني هو المتدخل الذي يملك نظرة شاملة وإستراتيجية عن المدينة ومركباتها، كما أنه أساسي ومهم في إبراز مختلف التطبيقات الواقعية والموازية لرغبات وطموحات الأفراد، ويبرز عمله بالطرق القانونية والتصميمية، أما على مستوى الساحات فيمكن دوره في تقديم أسباب إخفاقها، كما يحاول إيجاد حلول ميدانية لها، ومن جانب آخر يعمل على تصميمات عالية المستوى منها في التوسعات الجديدة، والساحة بالنسبة إليه جزء لا يتجزأ عن محيطها، وهو الأمر الذي يأخذه بالاعتبار في إعدادها لها، وانطلاقا من هذا يمكن القول أن العمراني قادر على تقديم نماذج فعالة من الساحات العامة. (Sablet,1988)

II-2 المعماريون :

إن الاهتمام الكبير للمعماريين هو الجانب المعماري والوظيفي للمباني، وكذلك الجوانب الداخلية والخارجية لها، كما أن عملهم وتحدياتهم تبلغ إلى درجة الاهتمام بالتوسعات والمدن الجديدة، حيث يعملون على إظهار التفاصيل المعمارية للمباني المحيطة بالساحة، والتي من

خلال هذه الأخيرة يتم اكتشاف وملاحظة تلك التفاصيل أيضا، فيتم الحكم على الإخفاق الفني أو عدمه بالنسبة للمباني وتصميمها. (Sablet,1988)

إن عمل الإبداع في الأحجام والتصميمات ومختلف الجماليات هو مجال تخصص المعماري، فهو يساهم في خلق الساحات العالية النوعية والراقية، وهذا من خلال التناغم في الأشكال والألوان والدلالات والرموز التي قد تحمل تعبيراً عن ماضي وحاضر ومستقبل المدينة، كما أن دور المعماري في تصميم الساحة ينطلق من إدراكه لها بأنها فراغ تابع للمباني الهامة المحيطة بها وكذا من وعيه بالعلاقة الكائنة بينهما. (Sablet,1988)

II-3 علماء الطبيعة (المنظريون) :

المنظريون هم المتدخل الذي يهتم بالجانب الحيوي للساحة والمتمثل في إدراج العناصر الطبيعية في تصميمها وتهيئتها، وهذا للأثر الهام الذي يتركه استعمال النباتات والأشجار والمياه وغيرها من العناصر الطبيعية على أحاسيس المشاهد والحياة الحضرية، لذلك فإدراجهم وبالرغم من بساطة دورهم أمر ضروري في إعداد الساحات، إذ يعملون على إحداث التناغم بين العناصر الطبيعية والمواد المصممة، محاولة منهم لخلق جاذبية في المكان، وهو الأمر الذي برره ما بلغت إليه بعض الساحات من المكانة المرموقة نتيجة الاهتمام بهذا الجانب، ونلمس هذا خاصة في الساحات السكنية البريطانية والمسماة بـ "سكوار"، أين نجد تخصيص مساحة كبيرة للنباتات ومختلف العناصر الطبيعية حتى أصبحت تبدو كحدائق عامة. (Sablet,1988)

II-4 الجغرافيون وعلماء الاجتماع :

ويعدون في مواجهة لحقيقة المدينة ومركباتها، لهذا يجب أن تكون دراساتهم واسعة وإنجازاتهم أكثر دقة أملا في ميلاد حياة مدنية تلبي رغبات سكانها، أما نظرتهم للساحات فيتعدى الفراغ إلى مكان لتبادل الأفكار وكذا للالتقاء والاتصال، أيضا هي مكان لتنشيط الذاكرة والتعبير عن الحقوق وكذا للتعرف على بعض سلوكيات الأفراد، لذلك تعبر ملاحظاتهم عن جوهر هذه الأماكن والجانب الحيوي فيها، أما عملهم فهو من خلال تقديمهم لوضعيات مختلفة ودقيقة عن المستعمل ومجال تواجده، بالإضافة إلى شرحهم لمختلف تصرفاته داخل هذه الفضاءات، كل ذلك جعل عملهم أكثر مسؤولية ووعيا بالفضاءات العامة، إلا أنه ورغم ذلك بقي تدخلهم في إعداد الساحات أمرا محدودا وضعيفا، أما فيما يخص المفاهيم والنتائج التي

يقدمونها فتبقى صعبة التعميم لأنها تتعلق بلحظات زمنية غير ثابتة، وهو الأمر الذي يجعل تدخلاتهم ثانوية وأقل أهمية مقارنة بالمختصين الآخرين أمثال العمرانيين والمعماريين...

II-5 الفنانين و الحرفيين :

يملك الفنانون والحرفيون إبداعات متميزة وتصورات جمالية ورائعة، والتي يبدعونها انطلاقاً من وعيهم بدور الجمال على تعديل الحياة الحضرية، ويكمن سر عملهم في الرفع من قيمة الجمال على مخططات المدينة وواقعها، وهذا من خلال أعمالهم الفنية الرائعة ذات الدلالات الرمزية، التي تجسد على واجهات المباني أو على التشكيلات المنفردة من النحت والتماثيل والرسومات المعبرة وكذا من استعمال الألوان المختلفة...

إن انتشار الأعمال الفنية في الساحات يزيد من أهميتها ويبعد الملل والضجر عن زوارها، وهو ما يجعلها فضاء أكثر حيوية وإمتاعاً للمشاهدين بالجمال والفنون وتناغم الألوان والصور، إضافة إلى أنها تنمي الذوق وترفع من المعارف الإنسانية، كما أنها تعمل على إثرائها وهذا من خلال الاتصال بين الفن في مدلولاته والساحة في تصميمها.

II-6 المسير والسياسي :

للسياسي دور كبير في إعداد الساحات، فبالرغم من كونه لا يشارك مباشرة في تصميمها إلا أنه يقدم موافقته أو معارضته لهذه التصميمات، كما يمكنه تقديم اقتراحاته حول بعض الأمور التصميمية أو الخاصة بتهيئتها من ذلك وضع تمثال معين أو رمز معين بها وكذا الإشارة إلى موقعها ومساحتها العقارية...، ورأي السياسي قد يكون حول الساحات نفسها أو حول مشاريع أو مخططات أكبر تحتويها مثل مخطط شغل الأراضي (P.O.S) أو التجزيئات الترابية أو غيرها من طرق التعمير، أيضاً يمكن تدخل السياسي من خلال القوانين التنظيمية التي تعد نقطة فاصلة في عمل وسير مشروع إنجاز الساحة انطلاقاً من الفكرة إلى غاية التنفيذ، كما يمكن أن يتعدى عمله إلى أمور خاصة بأداء الساحات ووظائفها المنوطة بها بأحسن وجه كإقرار الأمن بها والإسهام في وضع الأمور التنظيمية مثل أحقية التوقف للعربات على أجزاء منها، خلاصة الأمر الساحات تعبر عن أماكن أو ميادين عمومية يرجع فيها التسيير ومختلف عمليات الصيانة والمحافظة عليها في الكثير من الحالات إلى قرارات المسير.

III - استخدامات الساحة في المدينة :

الساحة فضاء عام مفتوح للجميع وموجه للاستعمالات المختلفة في المدينة، ويظهر استخداماتها بأشكال مختلفة ودرجات متنوعة، إذ يتحكم في ذلك مجموعة من العناصر التي نوجزها فيما يلي:

نمطية وتهيئة الساحة الذي يحدد ويخصص طرق استعمالها.

استعمال الساحة الذي قد يعود إلى أهداف وضعها مصمموها.

استعمالاتها هي نتيجة لسلوكات وطموحات الأفراد والجماعات.

إن سيطرة استعمالات معينة على مجال الساحة يمكن أن يعطي تخصصا لها، في حين يمكن أن تتواجد قوانين تنظيمية تدير هذا الاستعمال وربما تكون عفوية، وعموما نميز حالات عديدة ومختلفة لكيفية استعمال الساحات نشير إليها فيما يلي:

III-1 الاستعمال المباشر:

الساحة في هذه الحالة تمثل الغاية والهدف الأول في تطبيقات الأشخاص وممارستهم للحياة العامة، ويتأتى ذلك من خلال الوظائف التي يديرها الأشخاص عليها، من هذا المنظور تبدي الساحة استقلالية عن تطبيقات أخرى في المدينة، ولكي تصل إلى هذه الغاية لزم عليها استجابتها لاحتياجات زوارها من توفير الحيوية والتنوع في الخدمات، هذا النوع من الاستعمالات يظهر في الساحات التي تجري عليها الاستعراضات والاحتفالات المهمة وكذا الساحات المتميزة بتهيئتها الجميلة وتأثيرها الحضري. (Galibourg et autres,2001,p42)

III-2 الاستعمال غير المباشر:

الساحة لا تمثل في هذه الحالة الهدف الأول لمستعمليها، وإنما تمثل عنصرا ثانويا أو مكملا لاستعمالات أخرى في المدينة، مثل ذلك حركة المرور أين تعد الطرق والشوارع العنصر الأول المخصص لذلك بينما الساحة عنصر وسيط يعمل على تنظيمها وخاصة في أماكن التقاطعات الكثيفة، أما بالنسبة للساحات الواقعة وسط المباني الهامة فإنه يمر بها المستعمل قاصدا زيارة محيطها أو استعماله أو استكشاف مختلف تفاصيله الفنية والجمالية، بينما الساحات التي تحمل معلما في فضائها فهي تعمل على توجيه الحركة والتنقل في المدينة، كما

يمكن من خلالها الاستدلال عن نقاط أو مبان منتشرة حولها وخاصة عندما تكون في أماكن معروفة عند الأغلبية. (Galibourg et autres,2001,p42)

III-3 الاستعمالات الجماعية للساحات :

نعني به استعمال الساحة من طرف العامة وبشكل جماعي، وكذلك استعمالها من مجموعة الأشخاص المحددين موضوعيا، في هذه الحالة المستعمل لا يستفيد من حقوق احتلال مكان بها بشكل دائم، وهذا النوع من الاستعمال تديره وتحكمه ثلاثة مبادئ هي:

* مبدأ حرية الاستعمال:

يكفل هذا المبدأ للمستعمل التواجد بالساحة بكل حرية، لكن عليه احترام الأمور التنظيمية لها، فمثلا ساحة لتوزيع الحركة أو أعدت كمفترق للطرق تخضع المستعمل لقوانين تنظيم حركة المرور، رغم ذلك فالأمر لا يتعكس مع مبدأ الحرية، كذلك هذا المبدأ يجعل الساحة مفتوحة أمام كل الفئات والشرائح الاجتماعية، إلا أنه في الواقع العادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية قد تقف مانعا أمام ذلك، من ذلك عدم استعمال النساء لهذه الأماكن وهذا تجنبنا للاختلاط. (Galibourg et autres,2001,p42)

* المساواة في الاستعمال :

ينص هذا المبدأ على أن الأمور التنظيمية والقوانين والإجراءات المحافظة على الساحة هي إلزامية على الجميع، وهذا للحفاظ عليها وعلى حيويتها، لذا فالجميع عليه الخضوع لنفس القوانين التنظيمية أو العقابية، من ذلك منع التوقفات غير الشرعية للسيارات أو اصطحاب الحيوانات إلى بعضها أو العمل على إتلاف عناصر مكونة لها وغيرها من الأمور الممنوعة والتي عادة يشار إلى تحريمها بوضع إشارات أو لافتات أو ربما تكون ممنوعة بالعرف. (Galibourg et autres,2001,p42)

* مجانية التواجد أو الاستعمال :

إن استعمال فضاء الساحة في معظم الحالات هو مجاني، فالمستعمل يدفع ثمن بعض الخدمات على هذا المجال كالخدمات التجارية (شراء المجلات، الأكل...) لكنه لا يدفع ثمن تواجده بالمكان أو استعماله له. (Galibourg et autres,2001,p42)

III- 4 الاستعمالات الفردية :

يتعلق الأمر بمنح بعض الأفراد حق استعمال نسبة معينة من الساحة، وهذا بشكل دائم كبناء أكشاك أو مقاهي وغيرها أو بشكل مؤقت كحق التوقف على أجزاء منها أو توزيع الكراسي أو وضع رفوف أو طاولات تجارية عليها، في الواقع إن هذه الاستعمالات الفردية قد ترفع من حيوية هذا المكان ونشاطه، إضافة إلى إمكانية مساهمتها في تسييره وصيانته، إلا أنه على هذه الاستعمالات أخذ التصريح المسبق من الجهات المعنية، كما عليها أن لا تكون بشكل فوضوي. (Galibourg et autres,2001,p42)

نتيجة:

إن مختلف الاستعمالات المقدمة خلال هذا الجزء من الفصل تعبر عن أمور إدارية وتسييرية تأخذ الساحة كميدان عام، كما أنها تعد جوانب مهمة في السير الحسن لعملها، إلا أنه وفي الواقع ليس من السهل بلورة كل تلك الاستعمالات في ساحة واحدة، وهذا لعدة أسباب من بينها اختلاف الشرائح الاجتماعية المستعملة للساحة وطموح كل منها ضمن هذا المجال.

IV - الاحتياجات في الساحة حسب الشرائح الاجتماعية :

الساحة فضاء مفتوح للجميع، استعمالاتها تختلف حسب الشرائح الاجتماعية، وذلك يعود إلى احتياجات كل شريحة وتطورها الاجتماعي ونوعية حياتها الخاصة، ذكر سابلي (Sablet) استعمال وطموح كل شريحة من المجتمع فيما يلي:

IV- 1 فئة الأطفال الصغار:

يعمل الأطفال خلال هذه الفترة من حياتهم على اكتشاف المحيط الخارجي (خارج المنزل)، وتعد الساحات أحد الأوساط التي توفر لهم الاحتكاك ببعضهم، كما تسمح لهم بممارسة الألعاب المختلفة، فتمكنهم بذلك من توسيع معارفهم العقلية ونموها، وكذا التعرف على الحياة الخارجية، والأكثر من ذلك فوجود بعض المكونات كالنباتات والألواح والرمال والحجارة وغيرها من المواد يسمح بتطوير الإدراك اللمسي للأشياء والإدراك البصري للألوان عندهم، بالإضافة إلى ذلك فالساحة أيضا فضاء معرض لأشعة الشمس الضرورية للنمو الطبيعي لهذه الفئة والذي قد يحرمون منها بشكل كاف داخل المنازل وفي الشوارع الضيقة، وهذا خاصة بالنسبة للأحياء الفوضوية والكثيفة. (Sablet,1988)

إن التهيئة المثالية والحديثة للساحات تأخذ بعين الاعتبار في تصميمها مختلف الشرائح، أما بالنسبة للأطفال فيكون ذلك من خلال عدة جوانب من بينها:

توفير الأمن عن طريق احتلال الساحات لمواقع تسمح برقابة الأولياء لهم من داخل المسكن على الخصوص.

توفير الأمن والسلامة في التهيئة، يكون ذلك باستعمال مواد مرنة لا تشكل خطورة على الأطفال مثل الأحواض الرملية، الأحواض المائية المرتفعة نوعا ما وغير العميقة، وهذا مع تقادي الزوايا الناتئة الإسمنتية، بالإضافة إلى عزل وتخصيص أجزاء من الساحة لهذه الفئة وذلك لحمايتها من حركة العربات.

IV- 2 المراهقون:

يبحث المراهقون على التحرر، وهذا من خلال السلوكات والتصرفات التي يعرضونها، كما يسعون نحو إيجاد مكانة اجتماعية مرموقة لهم، في حين إن تواجدهم داخل الساحة يسجل بكثرة عند غير المتمدرسين خاصة وفي أوقات العطل كذلك، إذ تمثل الساحة عند بعضهم المكان المناسب للافتخار بالمواهب الشخصية، وكذا الفضاء الملائم للتعبير عن حرياتهم وطموحاتهم، ففيها يتمتعون بركوب الدراجات الخفيفة والألواح المتزحلقة، كما يعزفون الموسيقى، يرقصون ويعرضون حرفهم البسيطة وأعمالهم الفنية، إلا أنه نسجل استعمال الساحة من طرف مجموعات أخرى للتصرفات اللاأخلاقية من معاكسة النساء، عمليات السرقة وتعلم بعض الآفات الاجتماعية، بالرغم من ذلك فهي تبقى لهدف أعلى هو الالتقاء والمواعيد وغيرها.

IV- 3 الرجال والشباب:

تظهر هذه الفئة أقل اهتماما بالساحة وهذا لارتباطهم بالعمل بشكل أوسع لساعات أطول من النهار، أما في الساعات الأخرى فإنهم يرتاحون في المنزل أو يقصدون المقاهي...رغم هذا فهناك مجموعة من هذه الفئة تستعمل الساحة كمكان عمل، وهذا من خلال عرض سلعهم التجارية أو حرفهم المختلفة كالرسم وعزف الموسيقى والتصوير...كما يستعملها آخرون كجزء تابع لمهنتهم الخاصة، وهذا ما نشاهده من نشر كراسي المقاهي عليها أو توزيع طاولات المطاعم أو بعض السلع وربما وضع الأكشاك في مجالها...بذلك يظهر استعمالها عرضيا وأكثر صدفة من خلال ممارسة الأنشطة المختلفة، بالرغم من ذلك تبقى الساحة جزء من ثقافتهم

وحياتهم والتي يتعايشون معها بأشكال مختلفة ومتنوعة في المناسبات والعطل وعند التجوال والرحلات. (Sablet,1988)

IV- 4 النساء:

إن تواجد النساء في الساحة يختلف حسب ثقافة وتقاليد المجتمعات، فهناك مجتمعات محافظة تقصي تواجدهن فيها، في حين تقبل وجودهن داخل الساحات الصغيرة والخاصة بالتجمعات الصغيرة، كما أنه هناك مجتمعات أخرى تتسم بالتححرر تعطي للمرأة الحرية والمساواة في استعمال مختلف مجالات المدينة، في هذا الصدد صرح سابلي أن النساء يفضلن الفضاءات الأكثر، تسمح لهن بالاحتكاك ومرافقة أبنائهن، وكذا مراقبتهم والنقاش حول تصرفاتهم، كما تعد الساحة بالنسبة لأخريات مكانا مناسباً للقراءة والكتابة وحياسة قمصان الأطفال وغير ذلك... (Sablet,1988)

IV- 5 كبار السن والشيوخ:

تظهر هذه الفئة في حاجة أكبر إلى أماكن للالتقاء في الهواء الطلق، بحثاً عن الهدوء والراحة والاستمتاع بالألعاب الفكرية المتنوعة مثل لعب الورق، الشطرنج أو ممارسة بعض الألعاب الشعبية، كما أن إقصاء هذه الفئة من الحياة العملية وكبرهم أو عجزهم يستدعي وجود أماكن وفضاءات لهم داخل أو قرب أحيائهم، لذلك فهم يرغبون في تواجد الساحات داخل تجمعاتهم الصغرى لتكون قريبة أكثر منهم، وهو طموح يتقاسمونه مع الأطفال الصغار المرافقين لهم في بعض الأحيان إلى الساحات. (Sablet,1988)

IV- 6 العجزة والمعوقون :

تتقاسم هذه الفئة من المجتمع مع الشريحة السابقة الكثير من الطموحات، وهذا كونهم يجدون صعوبة في الحركة والتنقل إلى نقاط بعيدة من المدينة وما يستلزم ذلك من قطع للطرق والسلام أو عبور المنحدرات، لهذا التهيئات الحديثة أصبحت تأخذهم بعين الاعتبار وهذا بتخصيص مساحات وممرات خاصة بهم وسهولة الوصول إليها، وكذا بتوزيع عدد كبير منها داخل الأحياء، صرح سابلي أن الساحة هي المكان المناسب لهذه الشريحة لمعايشة المجتمع وبالتالي تخفيف المعاناة النفسية عنهم. (Sablet,1988)

IV- 7- الأجناب:

تعد الساحة مقصدا للزوار والأجناب عند زيارة المدن، حيث يبحثون فيها عن اكتشاف عادات وتقاليد مجتمعات المدن، ويرتبط وجود الأجناب بالساحة بوجهتين متعاكستين، فمن جهة على الأجناب احترام العادات والتقاليد والسلوكيات الدينية والثقافية لمجتمع المدينة، وهذا من أجل الحفاظ على العلاقات الاجتماعية، وحتى يتسنى لهم التمتع بحيثيات المكان والحركة بسهولة، ومن جهة معاكسة على تهيئة هذه الساحات أن لا تبرز بقوة اختلافات مع "الديانة" أيديولوجية الأجناب، وذلك من خلال التماثيل أو الرموز أو اللوحات الاشهارية، من هذا المنطلق يرى سابلي أن إشراك الأجناب في تهيئة هذه الأماكن هو الطريقة المثلى لإدماجهم ضمن المجتمعات المستقبلية والتعايش معهم داخل هذا الفضاء، لكن يبقى هذا المسعى صعبا لتعدد واختلاف أفكار وثقافات الأجناب. (Sablet,1988)

الخلاصة

نخلص من هذا إلى أن للساحة أهمية كبيرة نظرا للوظائف والاستعمالات المختلفة لها، وهو ما يجعل وجودها ضمن المدينة أمرا لا مفر منه، كما أن احتياجات الفئات المختلفة منها جعل عمل المتدخلين في إعدادها ليس بالأمر الهين نظرا لتنوع وظائفها وأشكالها في المدينة حيث تستجيب لفئات مختلفة تستعمل ساحة مشتركة.

إن تعدد الوظائف واستعمالات الساحات دال على أنها فضاء عام لا يمكن الاستغناء عنه وإنما يجب بلورته حسب الطموحات المرجوة، وأن حسن التعامل مع الجانب الفضائي للساحة كفيل لها للوصول إلى التطبيقات والاستعمالات المنتظرة منها، ويساهم في ذلك الجانب ثقافة المجتمع وتطوره الاجتماعي.

كما نشير إلى أن استعمال الساحات وتواجد الأفراد بها يعبر عن تفكير تجاهها وكذا نتيجة الصور التي يحملونها عنها، وهو الأمر الذي قد يتدخل في توجيه أحاسيسهم وبالتالي تواجدهم وتنقلهم بها ومن جهة أخرى قبولهم أو رفضهم له.